ميثاق لوكارنو

اسبابهُ ونتائجهُ

قليل من قراء العربية مَن تتبع خطوات السياسة الاوربية منذ انتهاء الحرب العظمى حتى التئام مؤتمر لوكارنو . واقل من هذا القليل من قرأ ميثاق لوكارنو واطلع على بنودهِ ذلك لان الشرقيين اصبحوا لا يؤمنون بما تبشر بهِ السياسة الاوربية

على ان عبء الوزر — ان كان هناك وزر ما — واقع على الشرقيين وقوعهُ على اوربا حذوك النعل بالنعل

فليس منا سياسيّ عامل يدرك روح العالم الحالي ويقود شعبهُ في سبيل الحضارة الراهنة بل تراثنا مشبعين من ميراث الماضي لا نكيفهُ تكييفًا يتفق مع تيار المدنية الجارف. وخلو بلادنا من هذا السياسي لا يضارعهُ الاَّ العقم الذي شاهدهُ العالم في رجال السياسة الاوربيين الى ان اتيح لبعضهم عقد مؤتمر لوكارنو لا نبوغًا منهم بل انقياداً لحكم الرأي العام وما لهُ من السطوة على رجال الحكومات

وما هو ميثاق لوكارنو ؟

دع عنك نصّ موادّهِ واحكامهِ . فهو اتفاق بين حكومات اوربا يقرّر ان السلم خير من الحرب واربح . وان لا سلام للعالم الاَّ اذا سارت حكوماتهُ في علاقاتها بعضها مع البعض الآخر سيرَ الافراد في محكمة متحضرة في علاقاتهم بعضهم مع بعض . وبعبارة اخرى ان ميثاق لوكارنو بدء عهد جديد يضع الشورى والتسامح بين الشعوب كما وضعتها الشورات الماضية بين الافراد — هو التجاء الى العقل وتبادل الآراء بتنازل كل فريق للفريق الآخر عن جانب من مطالبهِ بدلاً من ان يتشدد فيها ويتعصب لها . وهو في ذلك ليس لهُ شبيه في كل ما تقدمهُ من المعاهدات بين الدول. فانهُ ليس محالفة فريق من دول الارض على فريق آخر . وليس استعداداً لحرب يتوقعها فريق من فريق آخر بل هو عهد بالالتجاء الى العقل والشورى عند اشتداد الازمات . فما الذي حدا بالدول الاوربية الى هذا العمل ؟

ان البحث عن جميع الاسباب عمل طويل يستغرق كثيراً من وقت القارئ

وعندي ان سبب الاسباب هو هذه الروح التي اخذت تدبّ في الحضارة الاوربية

منذ نصف قرن وبيف وقد اشرنا اليها مليًّا في مقالات سبق لنا نشرها في غير هذا المكان . اعني الروح الشعبية او الامية او الدولية (Internationalism) التي يقول فريق كبير من علماء القانون باحلالها محلّ الروح القومية (Nationalism) فكأن الشعوب الاوربية بعدما استكمل كل شعب منها قوميتهُ اي شخصيتهُ اخذ يسعى في تكوين شخصية اوسع واعمّ هي الشخصية او القومية الاوربية . ومن مظاهرها الشاذة الاشتراكية المتطرفة والشيوعية ومن مظاهرها المعتدلة العائلة جمعية الامم . وليس الظاهرتان الأخيرتان الأحكماً على القومية بانها لم تعد الاداة الفعالة لقضاء ما بين الامم من المصالح

فكما ان اختلاف الناس في عقيدتهم الدينية لم يعد لهُ اثر في حلّ ما استعضل من مشاكل اوربا السياسية كذلك سيأتي يوم تزول فيهِ هذه النعرة القومية اذ يفهم الناس انهم يسعون في هذه الحياة لغرض واحد ولمصلحة واحدة . ولا يأتي ذلك اليوم قبلما تستكمل كلُّ امة قوميتها اولاً ثم تدخل في النظام الشعبي العام

كالافراد مثلاً فانهم لا يملكون حقًّا من حقوقهم السياسية الأ اذا بلغوا سنّ الرشد. فاذا بلغوه دخلوا الحظيرة السياسية فافادوا واستفادوا

ولا يسع المجال تفسير هذا الرأي ولكن يكفي في صدد مقالتنا هذه ان نقول انهُ العامل الروحي الاكبر في ابراز ميثاق لوكارنو الى حيز الوجود

بقيت اسباب اخرى عجلت ظهور هذا العهد . اولها ضغط الشعوب على الحكومات وعلى رجال السياسة

فقد ملّ الشعب الحرب ولم يعد يطيق ان يساق الى اللجج والنهب سوق الاغنام وقد ادرك ان الحرب آية دمارو ان غالبًا او مغلوبًا فما كان من رجال السياسة في اوربا الأ ان دونوا هذا الادراك في عهد لوكارنو

ثانيها العامل الاقتصادي . فالخراب الذي عمّ معظم اوربا والعبء الذي جعل ميزانيات دولها تنوء بالضرائب وتعجز عن مساواة الدخل بالانفاق حرّك فيهم غريزة الدفاع عن الكيان فرأوا ان اوربا كلها وحدة اقتصادية تتعذر تجزئتها وان لا بقاء لدولة اذا ظلت منفردة اقتصاديًا عن الدول الاخرى . فهما عظمت الدولة فانها بحكم القاصر لا غنى لها عن سواها في الامور الاقتصادية . فاذا عرف الناس كيف ينظمون هذه الحقائق امنوا شرّ الحرب

والقول بان اوربا كلها وحدة اقتصادية بل القول بعبارة اصحّ ان العالم كلهُ وحدة اقتصادية قول لا غبار عليهِ ولكن كيف تنتظم هذه الحقائق في هذا الوسط العالمي

المملوء من الماضي وذكرياته وما فيها من انقسام وتحزب وتشيع ديني وقومي

أبعد النظر في هذه الاعتبارات يزول معظم التنافس بين الشعوب

ان مؤتمر لوكارنو لم يفعل سوى وضع اول حجر في بناء هذا البناء العتيد. فان النظر الى اوربا او الى العالم وحدة اقتصادية واحدة لم يأخذ بها جميع الاقتصاديين بل ان فريقاً كبيراً منهم لا يزال يقول باستقلال كل دولة في امورها الاقتصادية تكيفها حسب مصلحتها اما بضرب رسوم جمركية او باحتكار او بتشجيع صناعة دون اخرى وما الى ذلك من المبادئ الاقتصادية المعمول بها الآن. وعلى هذا الرأي معظم رجال السياسة الحاكمين الآن

يقابل ذلك الفكرة الاولى التي اشرنا اليها فانها لا تزال في حيز رجال التأليف واصحاب النظريات المجردة عن الهوى السياسي ولكن صقي الحرب قد قدمتها فاخرجتها من الكتب الى سياسة عملية لم يُبدأ بها بعد ولكن روحها مستقرة في ميثاق لوكارنو

بقي عامل ثالث قد يكون هو العامل المعجّل في مباشرة عقد المؤتمر ولكنهُ ليس بالعامل الاساسي في ركن الحضارة المطلقة وهذا العامل هو الخطر الروسي . وليس في نظري الخطر من روسيا لانها بلشفية الآن بل ان خطرها يبقى كبيراً ولو اصبحت قيصرية

فالخطر روسي . لان روسيا بعد الحرب اصبحت بحكم ما اقتطعوا منها من دويلات اضيفت الى الاسرة الدويلية الاوربية شرقية اكثر منها غربية بكثير . فكأن روسيا اختارت الآن ان لا تدخل في الاسرة الاوربية او كأن اوربا لم تقبل ان تدخلها الآن وصبغتها بلشفية

فالخطر الروسي جعل من اوربا شبه كتلة واحدة تقوم في وجهه

وقد قرأت في بعض المجلات لوزير اميركي ان تشيشرين وزير خارجية روسيا عرض على المانيا قبيل مؤتمر لوكارنو عقد تحالف معها فاصبحت المانيا وامامها امران تختار احد الطريقين اما الشرق او الغرب فقرّ قرارها على السير مع الحضارة الاوربية. ونعم الخيار

***

قلت في بدء هذا المقال ان شرقنا مصاب بعقم برجال السياسة العاملين (Statesmen) الذين يبنون للمستقبل لا لانفسهم ذلك لاني ارى ان لا قيام للدول الشرقية الا اذا ادركت ان سيرها في سبيل الحضارة الغربية ابقى لها فاذا تنكبتها عثرت ولا تقال عثرتها

وطريق هذه الحضارة السياسي مرسوم لنا في تاريخها فهو الاخذ بروح القومية في سياسة الشعوب واستكمال هذه الروح بكل ما في بناء القوميات من اسس ثم الدخول

بقوميتنا التامة — شخصيتنا المستقلة — في مجمع القوميات الاخرى . شأننا شأن كل دول العالم الغربي الطريق وعر شاق طويل . ولكن تركيا يصطفى كالها قد فهمت هذه الاولية السياسية الحديثة واخذت تسير في معراج الحضارة الغربية . فانهُ ان اقتنعنا بان الغلبة في هذا العالم هي اليوم للحضارة الغربية فما علينا الاَّ ان نحكّم هذه الحضارة فينا فنستقل . اذا تغلبت الحضارة الغربية على عقليتنا فشينا في سبيلها غلبنا الغربيين على امرهم في بلادنا واصبحنا فيها مثلهم في بلادهم

وما سبيل الحضارة الغربية السياسية الاَّ نظام القوميات مدمجاً في نظام شعبي عام

سامي الجريديني المحامي

[ختم مؤتمر لوكارنو جلساته في ١٦ اكتوبر الماضي بعد ان وضع رؤساؤهُ سبع معاهدات اذا نفذت بالروح التي حدت الى وضعها كانت بدء عهد جديد من السلام والرخاء في اوربا. واول هذه المعاهدات ميثاق ضمانة الرينلند (ارض الرين) وقد عقدت بين المانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وبلجكا وايطاليا ويتصل بهذا الميثاق اربع معاهدات تحكيم احداها بين المانيا وبلجكا والثانية بين فرنسا والمانيا وقد وقع عليها مندوبو الدول التي وقعت ميثاق الضمان. واما المعاهدتان الاخريان من معاهدات التحكيم فاحداهما بين المانيا وبولونيا والاخرى بين المانيا وتشكوسلوفاكيا . بقيت معاهدتان عقدتا بين فرنسا وبولونيا وفرنسا وتشكوسلوفاكيا وفيهما ان فرنسا تسرع الى نجدة احداهما اذا اعتدت عليها المانيا اعتداء لما يستطع مجلس جمعية الامم من وضع حدٍّ لهُ . وقد اجتمع مندوبو الحلفاء في اول دسمبر بلندن فرقعوا رسمياً ميثاق ضمان الرينلند

هذا ما تم بين هذه الدول على مصالحها الاوربية . وابن الشرق يودُّ ان يعرف ما تمَّ بينها على مصالحها في الشرق الادنى وفي الشرق الاقصى وحيث لها مستعمرات. أولم تعقد معاهدات سرية . يخيَّل الينا انها فعلت ذلك فاننا نقرأ في مجلاتها السياسية ما يدلُّ على اهتمامها الشديد بالمعاهدة التي عقدت بين روسيا والصين واليابان . وبالقلق السائد في تونس والجزائر والمغرب الاقصى ومصر والشام والعراق والهند وافغانستان . وعسى ان تكون التجارب قد علمتها ان البغي مرتعهُ وخيم وان الامم اذا استيقظت من رقدتها فلا تقنع باقل من الاستقلال والمساواة . وان موائد العلم صارت مباحة في هذا العصر فلا يضطر ابن الشرق ان يليث قرنين حتى يصل الى ما بلغهُ الاوربيون في قرنين بل يصل في بضع سنوات الى ما وصل اليهِ الاوربيون في مائتي سنة وحسبنا اليابان شاهداً على ذلك]